



الضجيج العاطفي وأثره على وعينا الجماعي

محمد عمر حسين المرحبي

في زمن تتسارع فيه الأحداث ويعمل فيه الضجيج، لم نعد نعيش الواقع كما هي، بل كما نشعر بها. خبر واحد قادر على أن يرفع منسوب الغضب، وآخر يزرع الخوف، وثالث يشعل الحماسة، وكل ذلك قبل أن نعرف الحقيقة كاملة. هكذا بات المشاعر تسبق الفهم، والانفعال يتقدم على التفكير.

لم يعد الوعي في عالمنا العربي يُصنع عبر الفكرة الهدئة أو النقاش المتنزّن، بل أصبح في كثير من الأحيان نتيجة مباشرة لما نشعر به لا لما نفكر فيه. الغضب، الخوف، العفاس، الإحباط، كلها مشاعر باتت تتحكم في طريقة تلقينا للأحداث وفهمها لها، حتى صارت المشاعر هي البوابة الأولى التي نعبر منها إلى الواقع.

في منصات التواصل الاجتماعي لا يكاد المحتوى الأكثر صدقاً أو عمقاً، بل المحتوى الأكثر قدرة على إثارة الانفعال. منشور يثير الغضب ينتشر أسرع من تحليل متنزّن، وقطع يذكر الخوف أو الحماسة يتقدّم على أي محاولة للفهم أو التفسير. ومع التكرار، تتحول هذه الحالة إلى نمط عام، فيعتقد الناس التفاعل قبل التفكير، والانحياز قبل الفهم، والحكم قبل التحقق.

المشكلة أن هذا الأسلوب لا يصنع وعيًّا حقيقياً، بل يصنع جمهوراً متورطاً، سريع الاشتعال، قصير النفس، يعيش على موجات متلاحقة من الانفعال. اليوم قضية، وغداً قضية أخرى، وبينهما لا وقت للسؤال أو المراجعة. وهكذا يصبح المواطن متلقياً دائماً، يشعر كثيراً لكنه يفعل قليلاً، وينفعل أكثر مما يفهم.

في الواقع عربي مليء بالأزمات والتحديات، يسهل استدعاء المشاعر واستثمارها. يكفي اختبار زاوية معينة للحدث، وتكلّرها، وربطها بلغة حادة، حتى تتشكل قناعة عامة لا تقوم على المعرفة بقدر ما تقوم على الإحساس. ومع غياب الصوت الهدى الذي يشرح ويوازن، تصبح العاطفة هي اللغة السائدة، ويصبح الاختلاف في الرأي سبباً للاتهام لا للحوار.

الأخطر من ذلك أن كثرة الانفعال تنهك المجتمع نفسياً. حين يعيش الناس في حالة غضب أو خوف مستمر، يفقدون قدرتهم على التفكير الطويل، وعلى رؤية الحلول، وعلى الصبر المطلوب لأي إصلاح حقيقي. يتحول النقاش العام إلى ساحة صراخ، وتُفْيَعُ القضايا الكبرى بين العبالغة والتشكيك، وبين التهويل والتسطيح.

هذا لا يعني أن المشاعر أمر سلبي، فالعاطفة جزء أصيل من إنسانيتنا، لكنها حين تقود وددها تصبح عبئاً لا قوة. المطلوب ليس إلغاء الشعور، بل ضبطه، وربطه بالعقل، وتحويله من ردّ فعل إلى دافع للفهم والعمل. الهدوء ليس ضعفاً، والتريث ليس خيانة، والتفكير ليس بروداً تجاه القضايا.

نحن بحاجة إلى وعي لا يُستفز بسهولة، ولا يُقاد بالضجيج، ولا يخلط بين الصراخ والحق، ولا بين الحماسة والحكمة. وعي يدرك أن أخطر ما يمكن أن يحدث لل المجتمع هو أن يعيش دائماً في حالة انفعال، دون أن يتقدّم خطوة واحدة نحو الحل.

الوعي الحقيقي لا يقاس بحدة المشاعر، بل بقدرتنا على فهم ما نشعر به، ولماذا نشعر به، وإلى أين يقودنا ذلك الشعور. وحيث ننجح في هذه المعادلة، فقط، نخرج من دائرة الاستهلاك العاطفي إلى مساحة المسؤولية والبناء.

محمد عمر حسين المرحبي